﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾

[آل عمران: 139]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لا ينبغي أن تكون الهزائم سببًا للضَّعف

لمَّا أمر اللهُ المؤمنين بالمسارعة؛ وأتبعها علَّتها ونتيجتها؛ نهاهم عمَّا يعوقُ عنها؛ من قبل الوَهْن؛ الذي عَرضَ لهم عند رؤيتِهم الموتَ[1]، وبعد الإشارة إلى أنَّ سنَّة الله في الأمم الماضية الكافرة المكذِّبين لرسلهم، نهايتُهم إلى الهلاك؛ وإن حصل لهم شيء من النَّصر والظَّفر على المؤمنين، إلَّا أنَّ المؤمنين بثباتهم واعتمادِهم على الله ينتصرون على أعدائهم.

فلا ينبغي أن يكون ما حصل لهم يوم أحد سببًا لضعفهم وانهزامهم، إنَّما كان ذلك درسًا لإعادة صفِّهم وتجديد إيمانهم بالله تعالى.

قال الرَّازيُّ: "اعلم أنَّ الذي قدَّمه من قوله: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ﴾ [آل عمران: 137] وقوله: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ﴾ [آل عمران: 138] كالمقدِّمة لقوله: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ كأنَّه قال: إذا بحثتم عن أحوال القرون الماضية؛ علمتم أنَّ أهل الباطل؛ وإن اتَّفقت لهم الصَّولة، لكن كان مآل الأمر إلى الضَّعف والفتور، وصارت دولةُ أهل الحقِّ عالية، وصولةُ أهل الباطل مندرسة، فلا ينبغي أن تصير صولةُ الكفَّار عليكم يومَ أحدٍ سببًا لضعف قلبكم ولجُبنكم وعَجْزكم، بل يجب أن يَقْوى قلبُكم، فإنَّ الاستعلاء سيحصل لكم، والقوَّةَ والدَّوْلة راجعةٌ إليكم"[2].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 5/77.

(2) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 9/371.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَلَا تَهِنُواْ﴾، الوهن بمعنى: الضَّعف[1]، وذكر الرَّاغب أنَّه ضعف من حيث الخَلْق أو الخُلُق[2]، وهو هنا مجازٌ في خَوَر العزيمة وضعف الإرادة، وانقلاب الرجاء يأسًا، والشَّجاعة جبنًا، واليقين شكًّا؛ ولذلك نهوا عنه[3].

2) ﴿وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾: الأصل اللُّغوي للحزن: من الحَزَن، وهو: خشونة الشَّيء وشدَّة فيه[4]، والحُزْنُ مأخوذ منه، وهو: شدَّة الأسف البالغة حدَّ الكآبة والانكسار[5].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

ولا تضعفوا – أيُّها المؤمنون – ولا تحزنوا على ما أصابكم يوم أحد، فأنتم الغالبون لعدوِّكم، وأنتم الأعلون، بعون الله ورجائكم نصرَه؛ إن كنتم مؤمنين بالله ووعده لعباده المتَّقين.

ويشير سبب النزول إلى موضوع الآية؛ إذ رُوي عن ابن عباس ﷺ قال: انهزم أصحابُ رسول الله ﷺ يوم أحد، فبينما هم كذلك؛ إذ أقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلوَ عليهم الجبل، فقال النَّبيُّ ﷺ: (اللهمَّ، لا يَعلُونَ علينا، اللهمَّ، لا قوَّةَ لنا إلَّا بكَ، اللهمَّ، ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النَّفر)، فأنزل الله تعالى هذه الآيات، وثاب نفر من المسلمين رماة، فصعدوا الجبل، ورموا خيل المشركين حتَّى هزموهم، فذلك قوله: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾[6].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

بلاغة التَّعبير بالوهن على طريق المجاز:

الوَهَنُ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾: الضَّعف، وأصله ضعف الذات، وهو هنا مجازٌ في خور العزيمة وضعف الإرادة وانقلاب الرجاء يأسا، والشجاعة

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (وهن).
(2) الراغب، المفردات، وهن.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/98.
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حزن).
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/98.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 2/67، والواحدي، أسباب النزول، ص: 117.

نـفـيُ الـوهـن والـحـزن تقويةٌ لعزائم المؤمنين وتـسـلـيـتـهـم؛ لتجاوز ما نالهم يوم أحد

جبنا، واليقين شكا، ولذلك نهوا عنه. وأما الحزن فهو شدة الأسف البالغة حد الكآبة والانكسار، فالنهي عن الوهن والحزن في الحقيقة نهي عن سببهما وهو الاعتقاد[1]؛ لأنّ الحزن ليس اختيارًا، حتى يُنْهَى عنه، لكنَّه نهي عن تعاطي ما يورِّث الحزن، فيروِّض نفسه على تحمُّل الصِّعاب، وكيفيَّة التَّعامل مع أسباب الحزن ومسبِّباته. وفي ذلك عزاء وتسلية؛ لما نالهم يوم أحد من القتل والجراح، وحثَّهم على قتال عدوِّهم، ونهاهم عن العجز والفشل، والمعنى: لا تضعفوا عن الجهاد، ولا تحزنوا على من قُتل منكم؛ لأنَّه في جنان الخلد[2].

في الـقـصـر بيانُ انفرادهم بـاسـتـحـقـاق العلوّ؛ فلا عاليَ مثلهم، بسبب إيمانهم

بلاغة التَّعبير عن العَلِيَّة بأسلوب القصر:

وجملة ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ جملة اسميَّةٌ، وخبرها معرفة يفيد القصر، أي: أنَّ المسلمين هم الذين يستحقُّون هذا العلوَّ، وهو قصر إضافيٌّ، كأنَّه لا عالي مثلهم، بسبب إيمانهم.

دلالة جملة العليّة بين الحاليّة، والاستئناف، والعطف:

في الـحـالـيّـة تـصـريـحٌ بالوعد والنَّصر والغلبة، بعد الإشعار به فيما سبق

قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ جملةٌ حاليَّةٌ، أي: والحال أنَّكم الأعلون الغالبون، دون عدوِّكم، فإنَّ مصير أمرهم إلى الدَّمار، بحسب ما شاهدتم من أحوال أسلافهم، فهو تصريح بالوعد والنَّصر والغلبة، بعد الإشعار به فيما سبق.

في الاستئناف إطلاقٌ لعليّتهم سواء وهنوا أو لَا

ورجّح ابن عرفة أنَّ جملة ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ﴾ استئنافٌ؛ لأنهم لم ينهوا عن الوهن في هذه الحالة بل مطلقا، فهم الأعلون أيضا مطلقا سواء وهنوا أو لَا[3].

ويحتمل أن تكون الواو للعطف، والجملة معطوفة على

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/98.
(2) القنوجي، فتح البيان: 2/338.
(3) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/416.

ما قبلها. وهذه بشارة لهم بالنصر المستقبل، فالعلو هنا علو مجازي وهو علو المنزلة[1].

العلوُّ هنا علوٌّ مجازيٌّ وهو علوُّ المنزلة، وفيه بشارة لهم بالنصر مستقبلا

بلاغة إيراد الفاصلة جملةَ شرطٍ:

جواب الشَّرط في قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ محذوف دلَّ عليه ما قبله، أي: إن كنتم مؤمنين؛ فلا تهنوا، ولا تحزنوا، وإن كنتم مؤمنين؛ فأنتم الأعلون، وقد صدق الله وعده، فإنَّ النَّبيَّ ﷺ بعد وقعة أحد، ظفر بعدوِّه في جميع وقعاته[2]، وفي ذلك ترغيب لهم في الثبات، وتقويةٌ لعزائمهم. قال ابن عاشور: "والتعليق بالشرط في قوله: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ قُصد به تهييج غيرتهم على الإيمان؛ إذ قد علم الله أنهم مؤمنون، ولكنهم لما لاح عليهم الوهن والحزن من الغلبة، كانوا بمنزلة من ضعف يقينه فقيل لهم: إن علمتم من أنفسكم الإيمان"[3].

في جملة الشّرط ترغيبٌ لهم في الثَّبات، وتهييج غيرتهم على الإيمان

فائدة ﴿إِن﴾ في جملة الفاصلة:

قال ابن عرفة: " فإنْ قلت: هلّا قيل: أو كنتم مؤمنين؟، قلت: إنما عبر بـ﴿إِن﴾ تهييجًا على الاتّصاف بالإيمان ولاسيما أنها تعريض بالمنافقين فهم داخلون فيها"[4]. فمجيء إن الشرطية التي من شأنها عدم تحقيق شرطها؛ إتمامٌ لهذا المقصد[5].

قُصِدَ التّعبير بـ(إن) للتهييج على الاتّصاف بالإيمان، والتعريض بالمنافقين

في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ تنزيل الماضي المتحقق منزلة المستقبل غير المتحقق لإثارة همّتهم الدينية فلا يضعفون؛ وذلك لأنّ (إنْ) تقتضي أنْ يكون ما بعدها مستقبلا[6].

فائدة (إنْ) تنزيل الماضي المتحقق منزلة المستقبل

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/98.
(2) القنوجي، فتح البيان: 2/338.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/99.
(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 1/416.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/99.
(6) الإندونيسي، الشامل في بلاغة القرآن: 195.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الحُزْن والهَمّ والبَثّ:

أولاً: الحُزن: من الحَزَن، وهو: خشونة الشَّيء وشدَّة فيه[1]، والحُزْنُ مأخوذ منه، وهو: شدَّةُ الأسف البالغة حدَّ الكآبة والانكسار، والشعورُ بقسوةِ الأمر وشدتِه وخشونتِه[2]، وفسَّره الرَّاغب: بأنَّه خشونة في النَّفس، لما يلحقها من الغمِّ، وأصله من الأرض الحَزنة، أي: الخشنة، فالحَزَن هو الصَّعب، ويضادُّه: السَّهل، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ فليس ذلك بنهيٍ عن تحصيل الحزن، فالحُزْن ليس يحصلُ بالاختيار، ولكنَّ النهيَ في الحقيقة إنَّما هو عن تعاطي ما يورثُ الحزن واكتسابَه[3].

ثانيًا: الهمُّ: وهو أشدُّ من الحزن، فهو الحزن الذي يذيب الإنسان، والجمع: هموم، وأهمَّه الأمر؛ إذا أقلقه، وأحزنه، ذكر ابن فارس أنَّ الهاء والميم: أصل صحيح يدلُّ على ذوب وجريان ودبيب وما أشبه ذلك، ثمَّ يقاس عليه، ومنه قول العرب: همَّني الشَّيء: أذابني، وأمَّا الهمُّ الذي هو الحزن؛ فمن هذا القياس؛ لأنَّه كأنَّه لشدَّته يهُمُّ، أي: يذيب[4]، ويطلق على انزعاج القلب من توقُّع مكروهٍ، وما يَشْغَلُ بَالَ الإنسان، ويُؤَرِّقُ فِكْرَهُ[5]. ومنه حديث أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ، والحَزَنِ"[6].

ثالثًا: البثُّ: وأصله تفريق الشَّيء وإظهاره[7]، كبثِّ الرِّيح التُّراب، وبثّ النَّفس ما انطوت عليه من الغمِّ، وحقيقة البث في اللغة: ما يَرِدُ على الإنسان من الأشياء المهلكة التي لا يتهيأ له أن يخفيها. وهو من بثثته، أي فرّقته، فسُمِّيت المصيبة بثًّا مجازًا[8]، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: 86]، فالبثُّ هو للحزن الذي لا يقدر

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حزن).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (حزن).
(3) الراغب، المفردات: (حزن).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (همّ).
(5) الراغب، المفردات: (همم)، وابن حجر، فتح الباري: 11/323، والجرجاني، التعريفات، ص: 257، والكفوي، الكليات، ص: 961.
(6) البخاري، الحديث رقم: (6369)، ومسلم، الحديث رقم: (2706).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بثّ).
(8) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 9/251.

الإنسان على إخفائه؛ لذلك قيل: إنَّ الإنسان إذا قدَرَ على كتم ما نزل به من المصائب؛ كان ذلك حُزنًا وهمًّا، وإن لم يقدر على كتمه، وذكره لغيره؛ كان ذلك بثًّا، فالبثُّ هو أعظم الحزن وأصعبه، وهو حزْنٌ مبثوث، فكأنَّه قال: إنَّما أشكو حزني العظيم - وهو البثُّ وما دونه من الحزن القليل - إلى الله، لا إلى غيره من النَّاس، ولا إليكم، فالبثُّ الحزنُ الشديد المجتمع في النفس الذي يضطر صاحبُه من شدَّته إلى أن يُفْضِي به إلى غيره[1].

(1) القنوجي، فتح البيان: 6/389، وجبل، المعجم الاشتقاقي المؤصل: (بث).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»